ثقافيا او مبرر سياسيا · والتحسر على الماضي ما هو الا اماره رد فعل من جانب الشخصية ، وعلامة منذرة بموت مجتمل · وفي هذا الاطار ، نفهم دلالة مبادرة السلطات الاسرائيلية التي عمدت مؤخرا الى تنظيم تظاهرات مختلفة احتفالا وحفاظا على تقاليد وفولكلور اليهود الشرقيين ، ظانة انها تستطيع بذلك ان تسجنهم في ثنايا ماض مجيد · وهي محاولة بدون جدوى ، لان الشخصية اليهودية المغربية ، هنا او هناك ، لا يمكن ان تعثر على ذاتها من خلال الاعتراف السكوني بهوية قد يحيلها التآكل الى غبار متناثر كالحلم والوهم · ذلك ان حقيقة هذه الشخصية لا تكمن في اتباع طريقة رشيدة وعالمة ذات نوايا حسنة ، كما انها ليست فقاعة او مظهرا سطحيا لايديولوجية ظرفية · ان شيئا عجيبا قد حدث في أعماق لم تخطر ببال ، ولا يزال يحدث ، مواجها التحدي الصهيوني · ومن ثم فان الستراتيجيات الكلاسيكية لطرائق التناول ، قد اصبحت ادوات مشلولة ومن غير فعالية · ذلك ان المؤقت يسيطر على النهائي · والماضي لم يعد مجرد ذاكرة محافظة ، بل هو قبل كل شيء ، قوة للتحطيم ولاخصاب المستقبل · لكن ، لكي نتفهم جيدا المعنى الذي نتوخاه من هذه الدراسة ، سيكون من الضروري ان نرسم منظورا سريعا للطريق التي قطعها اليهود المغاربة ، وان نسجل المعالم الاساسية فيها ·

عقب الحرب العالمية الثانية ، تدفقت الصهيونية كأنها موج متلاطم ، لتغمر اليهود أينما كانوا · وبالنسبة للمغرب الذي نتخذه مثالا لدراستنا ، فان العديد من سكانه اليهود الذين تعود جذورهم الى الاف السنين ، مثل سكان قرى الاطلس الكبير ، قد انتزعوا من مسقط رأسهم ، تاركين كل ما يملكون ، متخلين عن مهنهم وعن جميع الاشياء المكونة لحياتهم · ولحد الان ، فان الغموض ما يزال قائما امام عرامة هذه الحركة التهجيرية التي تستعصي اكثر اجزائها ، على كل تأويل عقلاني ، خاصة وانه لم يكن هناك اي خطر حقيقي عاجل او آجل يهدد وجود اليهود المغاربة ، حتى في أشد الظروف حلكة عندما اعلن عن تأسيس دولة اسرائيل ، وباستطاعة اليهود الذين عاشوا تلك السنوات واستمروا يعيشون بالمغرب ، أن يدلوا بشهادتهم على ما نقول · انه لشرف للشعب المغربي ان حافظ على برودة دمه ، ولم يرد في اية لحظة على الاستفزاز الدائم للنشاط الصهيوني · وقد حاولت دعاية كاذبة ان تثبت عكس ما قلناه ، وسنتصف الحقيقة فيما بعد ·

لماذا ، اذن ، تلك الهجرة الواسعة ولو أنها امتدت على عدة سنوات ؟ لماذا هذه المأساة الصامتة ، السرية ، تحت تأثير رقابة ملتحمة بالايديولوجية الصهيونية ؟ مأساة كادت ان تمحو ، والى الابد ، الحضور اليهودي من على أرض المغرب ، ولا تزال الى اليوم تنتصب عائقا امام حظوظ ميلاد جديد لحضور اليهود المغاربة · ·

في اي مكان ، عندما يهاجر يهودي اختيارا او قسرا ، يختلف آليا وجود العداء للسامية · وهذه ، حسب الرأي المتداول ، حقيقة بديهية ومسلمة ذات قيمة كونية لا تستدعي أي تدليل حتى تقبل على أنها صحيحة · وكون التاريخ عرف اضطهادات مأساوية كان اليهود ضحيتها ، وعرف حركات استئصال وابادة كما كان الحال في المانيا الهتلرية ، فان احدا لا يفكر في نكران تلك الوقائع او التشكيك فيها · الا ان الفضيحة تبدأ عندما يلجأ البعض ، استنادا على ما كان صحيحا في شروط تاريخية محددة ، الى الخلط والى تحويرات ايديولوجية وضعية يمررونها من وراء هذا القناع · فاذا لم يكن هناك خطر مميت وراء رحيل اليهود المغاربة ، فانهم يستحضرون مع ذلك ، صورة اللاسامية في أشكالها الاكثر تباينا مما يجعلنا نضعها في خانة غيوم التاريخ ·